غسان كنفاني

العمل الفدائي في مأزقه الراهن

تعرضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ نشوئها الى هجمة اعلامية معاكسة يحتاج شرحها وشرح اسبابها الى العديد من الصفحات ، ومع ذلك فان حجم هذه الهجمة المعاكسة منذ تأسيس الجبهة عن طريق اندماج ثلاث فرق (شباب الثأر [الفرع الفلسطيني في حركة القوميين العرب] وابطال العودة ، وجبهة التحرير الشعبية) في تشرين الاول ١٩٦٧ ، وحتى كانون الثاني ١٩٦٩ حين تكرس نهائياً تقريباً انشقاق الفريق الذي اطلق على نفسه فيما بعد اسم الجبهة الديمقراطية ، ـ ان حجم الهجمة المعاكسة على الجبهة الشعبية بين ذينك التاريخين، كان اقل بكثير من الهجمة التي تضاعفت في اعقاب ذلك ، وما تزال مستمرة ، بشكل او بآخر ، حتى الآن .

ومنذ تشكيل الجبهة الشعبية كان من الواضح ان هذا الفريق الطليعي في حركة المقاومة المسلحة هو « ارض حرث » قابلة وحساسة للكثير من التطورات المتسارعة التي كانت تؤدي على الفور الى انعكاسات سياسية وتنظيمية وعسكرية داخل الجبهة ، ولعل هذا بالذات هو الذي ادى الى ثلاث نتائج اساسية :

اولاً : شعور الاطراف المختلفة باحتمالات «الخطر» الذي يشكله التطور المتسارع داخل الجبهة الشعبية ، وبالتالي محاولة العمل على حصاره .

ثانياً : الانشقاقان اللذان حدثا داخل الجبهة ، الاول «جبهة التحرير الشعبية» الميالة الى النهج العسكري البحت والتي وجدت انه من الأفضل لتوجهاتها ان تخرج من العلاقة التنظيمية التي عقدتها مع «شباب الثأر» و«ابطال العودة» في تشرين الأول ١٩٦٧ امام النمو المتسارع لعملية الالتزام بالماركسية اللينينية ، والانشقاق الثاني كان خروج مجموعة اعتبرت ان ولاءاتها « اليسارية » اكبر حجماً من ان يتسع لها الاطار التنظيمي للجبهة الشعبية . اما فريق « ابطال العودة » فقد اتخذ قراراً بالاندماج التنظيمي الكلي في الجبهة في كانون الاول الماضي.

ثالثاً : التسارع الفائق في الالتزام الايديولوجي بالماركسية اللينينية وانعكاس هذا الالتزام على مسائل العلاقات السياسية والتثقيف والتنظيم والنشاط العسكري داخل الجبهة الشعبية ، والذي تمثل بصدور «الاستراتيجية السياسية والتنظيمية للجبهة الشعبية» في اعقاب مؤتمر شباط ١٩٦٩، وهو التقرير الذي يحدد الالتزامات الواضحة للجبهة الشعبية ، وكذلك في اجراء تطويرات ثورية في العلاقات التنظيمية وفي النشاط السياسي والعسكري ، وفي الشروع بالعمل في «مدرسة الكادرات » التي تتبع برنامجاً عسكرياً تدريبياً وسياسياً تثقيفياً هو من اعلى المستويات والاول من نوعه ، جدير بتخريج صفوف من المقاتلين السياسيين في مستوى مهمات العمل الثوري .

على ان ذلك كله ظل مجهولاً لغالبية المتتبعين للأحداث ، امام هجمة اعلامية معاكسة على الجبهة الشعبية قل نظيرها ، وقد اشتركت في هذه الهجمة ، على قدم المساواة الانظمة العربية ـ يمينها ويسارها ـ وتنظيمات حركة المقاومة ـ يمينها ووسطها ويسارها ـ والمؤسسات الحزبية الدولية ـ ليبراليوها وماركسيوها وتروتسكيوها !

وفي غمار ذلك جرت عملية تطويق وحصار مذهلة ، الى حد تكفي الاشارة فيه ان « الاهرام » ، مثلاً ، عند خطف الطائرة الاميركية ، نسبت تلك العملية لمنظمة التحرير !

ولم تكن الجبهة الشعبية في موقف يتيح لها التفرغ للرد على هذه الهجمة المعاكسة :

اولاً ،لان مهماتها كتنظيم ثوري كانت من الضخامة ، تنظيمياً وسياسياً وعسكرياً، بحيث انها جعلت اي التفات الى غير واجب تلبية تلك المهمات هو مجرد هدر لا يفيد منه احد . وثانياً لانها كانت ، وما تزال ، تعتبر ان انشاء جبهة وطنية فلسطينية مهمة ملحة ويتوقف عليها الى حد بعيد مصير الثورة ، في حين ان المناكفات وتبادل الاتهامات وتوتير الجو لم يكن الا ليعرقل مثل هذا التوجه .

ان نظرة واحدة على طبيعة الهجمة الاعلامية المعاكسة التي وجهت ضد الجبهة الشعبية ، وما تزال ، كفيلة أن ترينا بانه يندر ايجاد تهمة لم توجه لها . فهي يمينية ، وهي فاشية ، وهي تخريبية هدامة ؛ هي «سارقة جهود الثوار» وهي يسارية متطرفة ؛ هي اقليمية ، وهي عروبية؛ هي ماركسية فرضوية ، وهي قومية شوفينية ؛ هي رجعية وهي ملحدة . وقد تكررت هذه الاتهامات في بلاد تمتد من الرباط الى الكويت : ان صحيفة الجبهة ممنوعة من دخول سوريا والسعودية ومصر والجزائر والمغرب وتونس واحياناً تمنع في الاردن ، اما نشاطها فهو – فيما عدا عدن وعمان وبغداد – محاصر او ممنوع او مراقب ، وقد ذاق رجالها وما يزالون طعم السجون في جميع العواصم العربية دون استثناء ، ومع ذلك فهي وحدها التي تقود ابرز ما في المقاومة من امجاد (غزة) ولها في سجون العدو اكثر من خمسمئة مقاتل ، وفقدت اكبر عدد من المسؤولين العسكريين ، وهي اكثر تنظيم فلسطيني قدرة على الضرب في الداخل ، وقبل ذلك كله : هي التنظيم الفلسطيني الوحيد صاحب الاستراتيجية المعلنة بوضوح والملتزمة نهائياً بهذه الستراتيجية في الممارسات .

بسبب ذلك كله يرفض اليمين ، العربي والفلسطيني ، الجبهة الشعبية ويعمل على حصارها وعزلها ، وكذلك يعطي «اليسار الطفولي» كل وقته تقريباً للعمل على تشويهها وتفجير الشائعات والاتهامات ضدها . ووسط ذلك كله تشق الجبهة الشعبية طريقها ، وهي تزداد وعياً ليس فقط بحجم القوى التي تواجهها ، ولكن ايضاً بمأزق العمل الوطني الفلسطيني والعربي . ولذلك بالذات